مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 594 - 208 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

انسجام الخطاب في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن " لأحمد مطر

The coherence of discour in the Poem « kif wa ratil sourat enasf ala Ras el wathen » by Ahmed Matar

د. عبد الحق سوداني*
Abdehak SOUDANI
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف– لطارف
enst.soudani@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/11/09	تاريخ القبول: 2021/06/05	تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص البحث

تناولت في هذا البحث دراسة قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن " لأحمد مطر من منظور اللسانيات النصية بهدف البحث عن الملامح النصية فيها، والتي تجعل من النص يتسم بسمات الاتساق والانسجام والتناص والمقبولية والإعلام.

فالقصيدة تشتمل على سمة النصية من خلال العناصر اللغوية وغير اللغوية لذا يمكننا طرح الإشكالية التالية: كيف تجلت ملامح النصية في *قصيدة* " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" لأحمد مطر؟.

القصيدة تتسم بالترابط النصي عبر الأدوات اللغوية وموادها المختلفة كالإحالة بكل أنواعها والتكرار والتضام، كما أن القصيدة ذات بنية كلية متماسكة وذلك عبر الآليات الدلالية والتداولية المختلفة والتي تعمل التماسك النصي

كلمات مفاتيح: النص، الاتساق، الانسجام، النصية

Abstract :

This present study deals with the poem KIF WA RATIL SOURAT ENASF ALA RAS ELWATHEN by Ahmed MATAR from a linguistic textual vision in order to search for the textual features, which add the characteristics of cohesion, coherence, intertextuality, acceptance, and communication.

This poem includes the textual feature through the linguistic and non-linguistic. Therefore, it is possible for us to formulate the following question: how do the textual features show up in the poem afore mentioned?

The poem shows textual link via the linguistic tools and their different as reference, repetition, and so on. It is also evident that the poem has a solid structure, and that through the different mechanisms of semantics and pragmatics.

Keywords: text, cohesion, coherence, textuality

* عبد الحق سوداني. enst.soudani@gmail.com²

تمهيد:

انتقلت دراسة النصوص في العقود الأخيرة من المناهج السياقية (الاجتماعية، النفسية، التاريخية) إلى المقاربات الداخلية لها، وخاصة بعد التطور الذي أحدثته اللسانيات فأصبح الاهتمام منصبا على العلائق النصية بكل مستوياتها اللغوية.

وظلت اللسانيات حبيسة دراسة الجملة لفترة طويلة باعتبارها أطول ظاهرة لغوية تم استكشافها علميا، إلا أن الأمر لم يبق عند هذا الحد فانفتحت اللسانيات على ما بعد الجملة بفضل استحداث الأدوات المعرفية والمنهجية، فكان النص هو المستهدف من المقاربة وأطلق عليها اللسانيات النصية.

واللسانيات النصية معرفة جديدة في إطار تجدد وتطور اللسانيات، وهي تشتمل على مجموعة من المفاهيم الكلية وإجراءات لغوية تطبيقية فعالة وموضوعية أرستها من معارف وعلوم مختلفة (علم اللغة، علم النفس، علم الاتصال،علم الاجتماع، التداولية ..) في إطار مقاربة تطبيقية للنصوص والخطابات.

وقد انتقيت قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن " لأحمد مطر لدراستها، والتي جاءت في سياق مدونة كاملة مختارة من لافتاته المشهورة، محاولا إظهار أدوات الاتساق وآليات الانسجام التي جعلت منها بنية متماسكة.

1- **مفهوم الاتساق:** وهو مفهوم عام "يشير المصطلح إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التركيب الضمن جملية أو بين الجمل ولاسيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع، و يعد تماسك الجملة المتنقلة جزع مباشرا من التحليل النصي"[1]، فيكون النص مترابطا من أوله إلى آخره وذو بنية تركيبية واحدة يشكل وحدة دلالية ذات معنى، " فهو مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص"[2].

فالاتساق ذو طبيعة أفقية خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل ويتحقق من خلال أدوات الربط النحوية ووسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة، ويكون الاتساق على المستوى التركيبي والمعجمي.

1-1- المستوى التركيبي

1-1-1- الإحالة: الإحالة بنية نصية متمكنة في النص والخطاب، وهي تدل على " أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه

من أجل تأويلها"[3]، فتحقق بذلك الإحالة وظيفتها التي تتمثل في عملية الربط بين الجمل والعبارات، بالإضافة إلى خلق المعنى والتأويل المناسبين لدلالات النص.

والإحالة نوعان :

*– "إحالة داخل النص : وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ"[4].

وتشمل الإحالة الضمائر بكل أنواعها وأسماء الموصول والإشارة... وغيرها.

*– إحالة على ما هو خارج النص :" وهو إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم "[5]، فيبرز السياق الحالي من خلاله فيحدث الفهم والإفهام.

وقبل الغوص في إظهار العناصر الإحالية في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن " لابد أن نشير إلى :

أ– نشير في عملية المقاربة إلى الظواهر الإحالية وغيرها كنماذج.

ب– استعمال الرموز في عملية الوصف.

إحالة ضميرية قبلية ← إ ح ض قب.

إحالة ضميرية بعدية ← إح ض بع.

إحالة ضميرية خارجية ← إ ض خ

إحالة إشارية ← إح إشا.

الوصف:

ففي قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن " تشكل الإحالة ملمحا نصيا قويا وذلك من خلال النموذج التالي:

رقم الجملة الشعرية	العنصر الاحالي	نوعه	العنصر المفترض
1	لا تهاجر	إ ح ض قب	قف(أنت)
2	حولك	إ ح ض قب	قف(أنت)
3	حولك	إ ح ض قب	أنت

4	لا تدع نفسك نواياك	إ ح ض قب إ ح ض قب إ ح ض قب	أنت أنت اأنت
5	نفسك نفسك	إ ح ض قب إ ح ض قب	أنت أنت
26	اخف ايمانك	إ ح ض قب إ ح ض قب	أنت أنت
34	امض لا تسل	إ ح ض قب "	أنت أنت
59 60 61	أنت لا تهاجر اركب	إ ح ض قب " "	أنت أنت أنت

يشكل العنصر الإحالي ظاهرة مطردة في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن"، بحيث أنها وردت في عشر أبيات فقط أكثر من سبع عشرة مرة، وهذا ما يمكنها أن تكون ذات وظيفة تركيبية ودلالية ومقامية، والربط بالإحالة الضميرية القبلية مرتبطة بالموضوع الرئيسي المتمثل في هجرة الإنسان العربي من واقعه البائس وهو المحال إليه، وأن الربط بالإحالة بين عناصر الجملة أو بين الجمل في مواضيع جزئية قد تم بحوالي مائتي حالة.

وقد أكثر الشاعر من العناصر الضميرية الإحالية الخاصة بالضمير أنت مثل: لا تهاجر، أنت، لا تقل، فلا تقرأ ولا تكتب ولا تحمل يراعا أو دفاتر، ابتعد عنه، اركب الناقة واشحن ألف طن.....

وقد ركز الشاعر على الإحالية الضميرية " أنت " من بداية القصيدة إلى آخرها، التي ترتبط بالموضوع الرئيسي، وهو الهجرة وواقع الإنسان العربي المتردي وإحساسه بالخوف وعدم الأمان على حياته وحريته وكرامته، حيث جعلت من المقاطع الشعرية متضافرة فيما بينها وأخرجت القصيدة في بنية دلالية متماسكة.

1-1-2- الاستبدال : يعرف هاليداي ورقية حسن الاستبدال على أنه "عملية تتم داخل النص، وهو يتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات"[6]، وأنه تعويض عنصر في النص بين الوحدات النصية التركيبية والدلالية ومن ثم اتساق النص.

أما ملامح هذه الظاهرة اللغوية على مستوى نص " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن"، فيبدو واضحا، وسنوضح ذلك من خلال الجدول التالي :

عملية الاستبدال	العنصر المستبدل
أنت	مجنون – ساحر
أنت	ذاكر – شاعر

وظّف الشاعر في " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" مجموعة من الكلمات المستبدلة عن الضمير "أنت"، حيث عوّض لفظ أنت بكلمات مثل : مجنون، ساحر، ذاكر، شاعر، ودلالة هذا التوظيف النوعي للضمير " أنت " الذي يبرز الوضعية الإنسانية السيئة التي يحياها الإنسان العربي، فهو متهم بالسحر والجنون كما أنه غير أهل للحياة الآدمية الجديرة بالإنسان، حتى غدت الهجرة مستحيلة بل وصعبة في ظل القهر المتفشي في أوطاننا، فكل هذه الاستبدالات ساهمت في اتساق النص وتماسكه الدلالي بحيث أن البنية الدلالية تكون بنية متماسكة.

1-1-3- **الوصل** : يعدُّ الوصل من وسائل الاتساق حيث أنه يحدد "الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم"[7]، وهو يعمل على انتظام الخطاب من البداية إلى النهاية بحيث يسهم في بنائه وذلك حسب الوقائع الكلامية.

وقد وظّف الشاعر الكثير من أدوات الوصل وخاصة حرف الواو لما له من أهمية في التسلسل النصي للجمل، بحيث تكرر ذكره ثلاثة وعشرون مرة فساهم استعماله بفعالية في بناء عناصر الخطاب بناء متماسكا، ويظهر ذلك من خلال ربط الكلمات والمقاطع الشعرية بعضها ببعض مما أدى إلى تشكيل شبكة متحدة الأجزاء.

ويمكن توضيح ذلك من خلال النماذج الشعرية في قصيدة" قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" .

"تضرب الدف وتشدو
أنت مجنون وساحر"[8]

وكذلك:

"رقم الناقة معروف

وأوصافك في كل المخافر

وكلاب الريح تجري

ولدى الرمل أوامر".[9]

وقد ورد الربط بواسطة الفاء ست مرات موزعة بين مقاطع القصيدة لتشكل أحد أعمدة الربط النصي الأساسية ويمكن أن نورد أمثلة :

"خفف الوطء قليلا

فأديم الأرض من هذي العساكر".[10]

وكذلك:

"أنت أمي

فلا تقرأ ولا تكتب ولا تحمل يراعا أو دفاتر".[11]

وُظّف الوصل بشكل مكثف في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" مما جعلها تنمو نموا بنائيا، فهو يعمل على ربط الكلمات والجمل مما يؤدي بها إلى الاتساق والتماسك اللغوي والدلالي.

1-1-4- **التوازي**: التوازي ظاهرة نصية في الشكل والمعنى، و يحدد على أنه " ما تكافأت بنيته ومعناه تكافؤا كليا أو جزئيا[12]"، فيأخذ النص جمل شعرية متشابهة في البنية والمعنى أو مختلفة في المعنى، وإذا نظرنا إلى قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" نجد أن هناك ملمحا هاما من الجمل المتوازية، وهو عبارة عن جمل شعرية متتالية متشابهة كليا أو جزئيا تحقق نسقا تركيبيا على مستوى مساحة مهمة من القصيدة، و تشكل تماسكا شكليا ودلاليا.

وهذه بعض الأمثلة :

"كل من حولك غادر

كل ما حولك غادر"[13].

وكذلك:

"هذه الصحراء ما عادت أمينة

هذه الصحراء في صحرائها الكبرى سجينة
حولها ألف سفينة"[14].

وأيضا:

"لا تقل إنك ذاكر
لا تقل إنك شاعر"[15].

إن العناصر التي تملأ بها نفس البنية لا تخلو من علاقة صريحة أو ضمنية فيما بينها " كما قال جيفرسون ودوبو جراند حين إشارتهما إلى أن هناك تعالقا بين الأعمال التي تشدد بواسطة توازي الشكل "[17] ، فالأسماء هنا محيلة إلى الذات نفسها بالطريقة نفسها فالأسماء : ما عادت أمينة، سجينة، سفينة ذات دلالات عاطفية سلبية تحقق مسارا متسقا من المعاني بعدما أدت اتساقا شكليا، وكذلك أسماء ذاكر، شاعر تمثل حركة الوعي العربي الرافض لكل أشكال الاستبداد القائمة في الوطن العربي ، كما أن حرف الراء ينسجم مع الكلمات المقطعية في القصيدة " لا تهاجر".

1-2- المستوى المعجمي

1-2-1: التكرار: يعرّف التكرار على أنه " شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف"[16]، والتكرار قد يكون تاما أو ناقصا، وسنحاول دراسته في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" باعتباره إحدى العناصر التي تسهم في تحقيق اتساق النص، وعليّ توضيح ذلك من خلال الجداول

التكرار التام	تكراره
لا تهاجر	4
كل من حولك غادر	2
غادر	2
الصحراء	3
حولك	2
الرمال	2
لا تقل	2
العار	2
الإيمان	2

النفس	4
لا تقل أنك	2

إن الناظر في القصيدة يرى أن التكرار يشكل ظاهرة لغوية تنم عن معجم الشاعر الشعري، بحيث أنه غطّى كل مساحة القصيدة من أولها إلى آخرها، وأنه مثل عاملا لغويا من عوامل تجسيد الاستمرارية في هذا النص كما ساهم في اتساقه وتلاحمه.

1-2-2: التضام : يعدّ التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي ويعرف على أنه " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا إلى ارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك "[17]، تلك العلاقة الحاكمة للتضام متنوعة فقد تتخذ شكل التضاد أو التنافر.

ويمكن توضيح هذه الظاهرة في الجدول التالي:

التضام
الضلال /الإيمان الجهر /الخفي

إن علاقة التضام المعجمية تساهم في اتساق النص، لما للألفاظ المتضادة من علائق دلالية ومعنوية تجعل من النص ينجذب نحو التماسك ودوران الدلالة نحو المعاني والمعاني المضادة، ولهذا تصنع هذه العلاقات تماسكا نصيا بدلالاتها المتناقضة على مبدأ "الضد يظهر حسنه الضد ".

1-2-3: المصاحبة المعجمية: و" تمثل الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة في جمل تلك اللغة"[18]، وقد تمظهرت المصاحبة المعجمية في:

الأعداد: ألف، مليون ، خمسون، رقم.

العلم: يقرأ، يكتب، اليراع، الدفاتر، الكلمة، ذكر، شاعر.

الاستبداد: السجن، المخافر،العساكر، الاعتقال، الحبس، عميل، جاسوس، مقتول.

فهذه الكلمات المعجمية تشكل حقولا دلالية لمعاني متضامة في وحدات نصية مترابطة متسقة.

2- آليات الانسجام في القصيدة:

2-1- مفهوم الانسجام: هو خاصية دلالية للخطاب و" لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية، يضمن

الانسجام التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام"[19]، و"يحيل الانسجام على خصائص النص والخطاب التي تضمن قابليته للتأويل"[20]، وأن من يحدد هده العلاقات الدلالية هو القارئ أو الملتقي، فهو ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص، وتحدد عناصر الانسجام في:

2-2-1: التغريض : يعدُّ العنوان وسيلة قوية للتغريض إذ يعرف على أنه : "نقطة بداية قول ما "[21]، ومن خلاله يستطيع القارئ أن يجد مفاتيح الموضوع، هذا الأخير الذي ينجذب نحو العنوان ومن هنا يكون التغريض " كإجراء خطابي يطور ويُنمّي به عنصر معين من الخطاب، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية أو حادثة، أما الطرق التي يتم بها التغريض فمتعددة منها: تكرير اسم الشخص واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه"...الخ"[22].

ولننظر الآن كيف تم تغريض قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" ؟

إن أول ما نلاحظ هو أن العنوان نافذة على النص، باعتباره يختزل كل الدلالات النصية، كما أننا نجد موضوع الخطاب" معاناة الإنسان العربي في كرامته وحريته في ظل الاستبداد" معبرا عنه في العنوان من خلال الإشارة إلى وصف الشاعر بالوثن.

بالإضافة إلى ذلك فقد اتخذ التغريض شكل العلاقات الدلالية بين المقاطع النصية فيما بينها وعلاقتها بالعنوان، وعليه فإننا نحدد العلاقة كالتالي :

عنوان القصيدة	المقاطع	موضوع الخطاب
" قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن	- المقطع الأول: لا تهاجر. - المقطع الثاني: أين تمضي؟. - المقطع الثالث: اخف إيمانك. - المقطع الرابع: امض - المقطع الخامس: ندموا من غير ضغط - المقطع السادس: سترى غارا فلا تمش - المقطع السابع: أنت مطلوب على كل المحاور	معاناة الإنسان العربي في كرامته وحريته في ظل الاستبداد

يتحقق الانسجام النصي من خلال عملية التغريض عن طريق العلاقة الدلالية العمودية بين العنوان وموضوع الخطاب عبر عناصر تماسك دلالية كالإحالة بالضمير " أنت" مع موضوع الخطاب " معاناة الإنسان العربي في كرامته وحريته في ظل الاستبداد" وذلك في كل مقطع مما جعل من التغريض آلية تماسكية نصية.

2-2-2: **موضوع الخطاب** :يعدُّ موضوع الخطاب آلية من آليات الانسجام النصي، إذ بفضله يتماسك النص تماسكا دلاليا، بحيث أن المواضيع الجزئية المشكلة للخطاب تتجمع وتنتظم لتؤدي في النتيجة إلى موضوع أساسي يدور حوله الخطاب.

وموضوع الخطاب ليس مجرد مركب اسمي بسيط وإنما هو قضية "تصدر بشأنها أو توضح دعوى معينة "[23]، والقضية تشتمل على مجموعة من الأفكار التي تنتظم ضمن أقوال، قد تكون هذه الأقوال كتابا آو مقالا أو قول.

والموضوع المعالج في الخطاب الشعري " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" هي قضية الاستبداد وعلاقتها بالإنسان بكل جزئياتها، بحيث أن القصيدة تتألف من ثمانية وستين جملة شعرية موزعة على ستة مقاطع متفاوتة في عدد أبياتها، وكل مقطع يتضافر مع المقاطع الأخرى للقصيدة أفقيا وعموديا، وأن مقاطعه تتآزر فيما بينها لتشكل بنية كلية كبرى.

2-2-3: **التناص** : تهدف الدراسات المتصلة بالتعالق النصي إلى إبراز عدم اقتصار النص على حدث واحد، إذ تدخلت فيه مجموعة من الأصوات الناجمة عن تداخل النصوص ضمن الجنس الأدبي الواحد، فكل نص على حد تعبير بارت " تناص تمثل فيه نصوص أخرى على مستويات مختلفة وتحت أشكال لا تعتاص على الإدراك إلا قليلا سواء ما سلف من نصوص الثقافة وما حضر، فكأن كل نص هو نسيج جديد من شواهد معادة "[24]، و تنتظم فيه مجموعة من النصوص كان صداها قائما في النص الجديد، بحيث تشكل هذه النصوص نسيجا نصيا واحدا تتعالق بعضها مع بعض محدثة بناء متراصا.

ويبرز التداخل النصوصي في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" لأحمد مطر فيما يلي:

قال أحمد مطر :

"لا تهاجر

كل من حولك غادر

كل ما حولك غادر"[25].

إن هذا المقطع الشعري يعد مفارقة مع النص التاريخي للهجرة، فإذا كانت الهجرة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم أمرا حيويا ومطلوبا فإنها بالنسبة للشاعر أمرا خطيرا و مذموما لأن الظروف غير ملائمة للحركة، فالناس والأشياء تقف حائلا أمام وصول المخاطب إلى أهدافه، أما النبي صلى الله عليه وسلم فكانت كل السياقات مناسبة للهجرة كالدليل والصاحب والبيئة المستقبلة والعون الإلهي.

"امض إن شئت وحيدا
لا تسل: أين الرجال
كل أصحابك رهن الاعتقال
فالذي نام بمأواك أجير متآمر
و رفيق الدرب جاسوس عميل للدوائر
وابن من نامت على جمر الرمال
في سبيل الله
كافر"[26].

إن هذا النص الشعري يتداخل مع النص القرآني تداخلا مفارقتيا فقوله تعالى "وإذ هما في الغار إذ قال لصاحبه لا تحزن إن الله معنا"[27]، فمخاطب الشاعر يهاجر وحيدا دون أصحاب لأنهم معتقلون في سجون الاستبداد، أما النبي(ص) فكان له صاحب أمين وصادق قادر على التضحية في سبيله، وفي جانب آخر إن أمين صاحب الشاعر الذي نام في فراشه متآمرا وعميلا، أما صاحب النبي الذي نام في بيته فقد كان أمينا ومضحيا في سبيله قصد التمويه وإعادة الأمانات إلى أهلها، وهنا كان النص الشعري يشكل ملمحا تناصيا مفارقا للنص القرآني ليكون نصا منسجما دلاليا عل سبيل التقابل.

فقصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" من بدايتها إلى نهايتها تعد تناصا مع النص القرآني والنص التاريخي على سبيل المفارقة النصية التي تعمل عن طريق التضاد النصي محققة الانسجام.

1-2-4: **سياق الموقف** : يعدّ السياق مقوما أساسيا من مقومات فهم النص والخطاب، إذ به نستطيع أن نصل إلى الفهم المحتمل لهما فإذا قرئ النص بعيدا عن سياقه تكون القراءة غير صائبة، وفي هذا الصدد يقول فيرث :"لدى أهل المنطق نزعة إلى القول بأن للكلمات والأطروحات معنى في حد ذاتها يمكن بطريقة أو بأخرى تحديده بمعزل عن المشاركين في الخطاب والظروف والمناسبات التي وقع فيها

الحدث الكلامي. يبدو أنهم لا يرون في طرحهم أهمية الأخذ بعين الاعتبار دور المتكلمين والمستمعين، أما أنا فأقترح أنه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين الأصوات المتكلمة وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيه دورها، وبالتالي فإنه يجب النظر إلى كل النصوص في اللغات المنطوقة على أنها تحمل في طياتها مقومات القول، بحيث تحيل على مشاركين نموذجيين في سياق معمم "[28]، وإذا كان هذا الأمر ينبغي أن يكون شرطا لازما لكل النصوص والخطابات فإنه لزم بالنسبة للخطاب الشعري باعتباره حالة موقفية من العالم والأحداث، وبما أنه" فعل تواصلي يخضع لقانون العرض والطلب (سوق القراءة) فإنه لا محالة متوفر على سياق، وليكن داخليا أو خارجيا، وإن ليتش يقر بأن السياق المنشأ يعد بمعنى ما حجر الزاوية في عملية التأويل، ولا نستطيع أن نقول إننا نعرف أي شيء تدور القصيدة ما لم تحدد مؤشرات العالم الذي تصوره"[29].

وتتفق كثير من الدراسات المعنية بمسألة السياق على الاكتفاء بما هو ضروري لفهم الخطاب والإحاطة بظروف إنتاجه ليكون القاسم المشترك بينها جميعا، وخاصة المرسل والمرسل إليه والرسالة والزمان والمكان باعتبارها تمثل مقتضيات المقام.

ونستطيع أن نحدد عناصر السياق في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن":

أ – المرسل : يعرف المرسل على أنه " الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه "[30]، والشاعر أحمد مطر هو المتكلم بما يمثله من قامة شعرية وثقافية وحضارية، يعايش الآن حالة الانحطاط التي تحياها الأمة على كل المستويات السياسية والاجتماعية والحضارية، وما ترتب على ذلك من استبداد وتخلف اقتصادي وثقافي تتجرعه الأمة عبر كامل أجيالها، وخاصة أن الشاعر يرى بأم عينيه ما وصلت إليه الأمم الغربية من تقدم في مختلف المجالات مما أثر إيجابا على الإنسان الغربي، ويظهر ذلك جليا من خلال النقد الساخر لأوضاعنا في أشعاره ودواوينه.

ب– المرسل إليه: "هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا...والمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء كان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا، وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يهم في حركية الخطاب "31، والشاعر أحمد مطر يستهدف في خطابه الشعري تأثيريا وإقناعيا الإنسان العربي المثقف ولذي يعيش في أغلال الاستبداد

وأوضاع غير عادية تحبس أنفاسه وينتشر الظلم الاجتماعي مما يجعل الأوضاع غير ملائمة على التقدم المدني والحضاري.

ج– الرسالة : إن القصيدة باعتبارها " نص لغوي بعد استعماله هو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء"[3234] ،وقصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" تملك من المقومات اللغوية والدلالية والتداولية ما يجعلها رسالة حية تتوفر على إحداث عملية التواصل، وخاصة أنها تتناول موضوعا من المواضيع المعاصرة التي تهتم بالإنسان والحرية الكرامة الإنسانية .

الخاتمــة:

لقد أرست اللسانيات النصية مقاربة شاملة في تحليل الخطابات والنصوص وذلك باعتمادها أدوات إجرائية فعالة، مست كل المستويات اللغوية وغير اللغوية، للبحث عن اتساق النص من جهة وانسجامه من جهة أخرى.

ومن خلال مقاربتنا لقصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" توصلنا إلى نتائج تطبيقية تتمثل في:

1– إن المقاربة اللسانية النصية تشتمل على مفاهيم أساسية تكون ضمنها مفاهيم إجرائية تحاول الغوص داخل النص لكشف أسراره كمفهوم الاتساق والانسجام .

2– تعد الإحالة عنصرا اتساقيا يساهم في اتساق النص مساهمة فعالة وظهر ذلك جليا في قصيدة " قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن" من خلال تنوع العناصر الإحالية التي ترتبط بموضوع القصيدة.

3– يسهم عنصر الوصل "الواو" في عملية الربط النصي وذلك من خلال ربط الكلمات بعضها ببعض وربط أشطار القصيدة قصد بناءها بالمواد اللغوية الملائمة والتي تتساوق وموضوع القصيدة مما يؤدي إلى الاتساق النصي.

4– كما يعمل التكرار على الاتساق النصي في المستوى المعجمي في القصيدة وذلك من خلال إعادة الكلمات التي تدور في فلك الموضوع من تأكيد المعاني التي يريد الشاعر إيصالها، فكان التكرار عنصرا اتساقيا في القصيدة.

5– وعلى مستوى الاتساق هناك عناصر أخرى عملت على اتساق القصيدة كالتضام والتوازي والاستبدال، فهي ظواهر لغوية تعمل كل واحدة على الربط اللغوي النصي في تشكلات نصية متسقة.

6- يعد التغريض أحد عناصر الانسجام النصي في القصيدة فهو يربط بين العنوان وموضوع القصيدة وهذا الانسجام على مستوى الدلالة مما يؤدي إلى التماسك الدلالي.

7- أما التناص فهو ملمح ظاهر في القصيدة وذلك من خلال تناص القصيدة مع الهجرة النبوية مما أدى إلى حوار نصوصي بين الشعري والتاريخي فكون لنا وحدة نصية منسجمة.

8- كما يعد سياق الموقف من الأدوات المناسبة في قراءة النص الشعري تؤدي إلى التأويل المنسجم والمحتمل من خلال معرفة المرسل وهو الشاعر أحمد مطر والجمهور الذي يتوجه إليه الشاعر بالقصيدة، كل هذا يعمل على انسجام القصيدة.

ومازالت القصيدة تزخر بالمواد اللغوية المختلفة التي تعمل على الانسجام النصي فهي تحتاج إلى قراءات أخرى لتجلية هذه الظواهر النصية.

هوامش:

[1]- أوزولد ديكرو، جان ماري ستشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياشي، المركز الثقافي، ط2، 2007، ص540.

[2]- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، ط2، 2007 ، المغرب، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص17.

[4]- الأزهر الزناد، نسيج النص المركز الثقافي العربي، ط 1، 1993، المغرب، ص 118.

[5]- المرجع نفسه، ص 119.

[6]- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

[7]- المرجع نفسه، ص23

[8]- محفوظ كحوال، أروع قصائد أحمد مطر، دار نوميديا، ط1، الجزائر، ص96.

[9]- المصدر نفسه، ص 96.

[10]- المصدر نفسه، ص96.

[11]- المصدر نفسه، ص96.

[12]- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط1، ،1999، الدار البيضاء، ص161.

[13]- محفوظ كحوال، أروع قصائد أحمد مطر، ص95.

[14]- المصدر نفسه، ص95.

[15]- المصدر نفسه، ص96.

[16]- المرجع نفسه، ص26.

[17]- المرجع نفسه، ص25.

[18]- محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب، ط1، 2004، ليبيا، ص30.

[19]- أوزولد ديكرو، جان ماري ستشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياشي، المركز الثقافي، ط2، 2007، المغرب، ص541.

[20]- جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مج باحثين، المركز الوطني للترجمة، 2010، تونس، ص500.

[21]- محمد خطابي لسانيات النص، ص59

[22]- المرجع نفسه، ص59

[23]- يول وبراون، تحليل الخطاب، تر: لطفي الزليطي، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، السعودية، ص 87.

[24]- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، ط6، 2006، بيروت، ص 234.

[25]- محفوظ كحوال، أروع قصائد أحمد مطر، ص95.

[26]- المصدر نفسه، ص96

[27]- سورة التوبة، ص40

[28]- يول وبراون، تحليل الخطاب، ص 46.

[29]- محمد خطابي، لسانيات، ص305

[30]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ليبيا، ص 48.

[31]- المرجع نفسه، ص48.

[32]- محمد محمد علي يونس، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ط2،2007، بيروت، ص157.